

النصيحة عوائقها وآثارها الاجتماعية

د / بشير قادره - جامعة باتنة

الملخص

إشكالية البحث تتمثل في بيان مفهوم النصيحة على المستوى الاجتماعي فهما وممارسة، واستقصاء العوائق التي تقف في وجهها، ورصد الآثار المترتبة عنها. فعلى الرغم من ورود كلمة النصيحة في النصوص الشرعية، وعلى الرغم من شموليتها إلى درجة جعلها النبي صلى الله عليه وسلم مرادفة للدين، فقال " الدين النصيحة"، إلا أن عوائق النصيحة الكثيرة قد أسهمت في ظهور مشكلات وأفات اجتماعية كثيرة، أثرت على المجتمع في غالبيته، ومن ثم جاء سؤال الإشكالية عن مكن عوائق النصيحة؟ هل هي في البيئة الاجتماعية؟ أم في الناصح الذي يُنشد فيها؟ أم في المنصوح؟ أم في جميع ذلك؟

Résumé

La problématique « des obstacles du conseil et leurs effets sur la société », réside dans les obstacles du conseil au niveau de l'entendement et de la pratique sociale et leurs conséquences.

Malgré que le terme « conseil » est mentionné dans les textes de la Chariaa, dans sa généralité. le prophète Mohammed l'a qualifiée égale à la religion, en disant « la religion c'est le conseil », mais les obstacles du conseil ont aussi contribués à l'apparition de nombreux problèmes et de fléaux sociaux. Ce qui a influencé sur la société dans sa totalité. C'est alors que se pose la question sur l'origine des obstacles du conseil ? sont- ils dû aux milieux sociaux ? ou bien sont-ils dû à celui qui porte conseil ? ou bien dû au conseillé ? ou bien à tous ?

تمهيد:

القيام بالنصيحة، قيمة من قيم الإسلام الكبرى، فهما وممارسة، متينة الصلة بكل من الدعوة إلى الإسلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لدرجة التداخل بينها. ذكرها القرآن الكريم في مواضع عدة، في معرض الحديث عن دعوات الرسل عليهم السلام، وذكرت العديد من الأحاديث النبوية الشريفة، في مقدمتها حديث الإمام مسلم وغيره " الدين النصيحة".

وقد وجدت لتمارس في البيئة الاجتماعية الإسلامية ؛ فإذا قام بها المسلم في غير بيئة الإسلام، فهي تدخل في إطار الدعوة إلى الإسلام والتعريف به.

وتكون النصيحة لله وللرسول ولأئمة المسلمين وعامتهم، ولكل نصيح هنا معناه، سيأتي توضيحه في موضعه.

أولا/ الإشكالية

لما كانت النصيحة من المصطلحات الإسلامية الأساسية، جعلها النبي صلى الله عليه وسلم مرادفة لكلمة الدين. لكن المتتبع للواقع الاجتماعي في العالم الإسلامي، يرى خلا رهيبا في تفاعلاته الاجتماعية مما أدى إلى ظهور آفات اجتماعية خطيرة، تعاني منها المجتمعات الإسلامية اليوم، وفي جميع الميادين. وهذا مؤشر إما عن غياب النصيحة أو عدم استيفاء شروطها، مما جعلها غير مؤثرة؛ مما يجعلنا نتساءل أين مكن الخلل؟ هل هو في البيئة الاجتماعية وما لحق بها من التغير؟ أم في الناصح بتقاعسه عن القيام بالنصح؟ أم في عدم استيفائه لشروط النصيحة؟ أم في المنصوح الذي تقف في طريقه عوائق جعلته يرفض النصيحة ولا يستفيد منها؟ أم في جميع ذلك؟

ثانيا/ العناصر الأساسية التي تناولها البحث

وقد تناول البحث للإجابة على الإشكالية المطروحة العناصر التالية:

- 1/ معنى النصيحة؟
- 2/ معنى العوائق؟
- 3/ العوائق التي تقف في طريق النصيحة وأسبابها؟
- 4/ التأثير السلبي لعوائق النصيحة على واقع المجتمع ومكوناته.

5/ نتائج البحث والمقاربة المقترحة لعلاج هذه العوائق وأسبابها.

1/ معنى النصيحة؟

أ- التعريف اللغوي للنصيحة:

جاء في "المنجد في اللغة والأعلام" في مادة نصح ما يلي¹:
نَصَحَ نَصْحًا وَنُصْحًا وَنَصَاحَةً وَنَصَاحَةً... فلانا ولفلان: وعظه وأخلص له المودة، فهو ناصح، ج نَصَاح، وَنُصَحَ.
نَصَحَ الشَّيْءُ: تَخَلَّصَ من الشوائب، يقال نَصَحَ المَعْدِنُ كالذهب إذا خلص من الشوائب المخالفة لجوهره.
ومن ثم فالنصيحة لغة، هي تصفية الشخص من شوائبه عن طريق الوعظ، بدافع الإخلاص له في المودة.

ب / التعريف الاصطلاحي الشرعي للنصيحة:

نُصِحَ الإنسان للإنسان، أن يدلّه على ما هو خير له، ويرغبه فيه ويحثّه عليه، ويبين له ما يجب من عاقبة حسنة، إذا أخذ بما نصحه به؛ وتعرضه لعاقبة سيئة، إذا لم يستجب لنصحه، بشرط أن يكون هذا البيان، خاليا من الغش والخديعة والتوريط فيما لا خير فيه².

- ومن الجمع بين ما ورد في اللغة العربية والاصطلاح الشرعي، تكون النصيحة هي: المقالة الهادية إلى خير المنصوح، الخالية من أي غش له.

وهي شاملة عامة، توجه لكل من يدركها، ويمكن أن يستفيد منها، حتى ولو كان كافرا. لما ذكره القرآن الكريم، "قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (61) أَبْلُغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (62)"³

¹ - المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، 2008، ط 43، ص. 811-812.

² - عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: فقه الدعوة إلى الله وفقه النصيح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، (دار القلم، دمشق، 1417 هـ الموافق 1996م)، ط 1، ص. 18.

³ - قرآن كريم، سورة الأعراف، الآيتان 61-62.

- وأما النصيحة للمسلمين فهي حثهم على التزام صراط الله المستقيم، وأداء واجبات الإسلام، واجتناب محرماته، والعمل بما رغب بفعله، وترك العمل بما رغب بتركه.¹ وللنصيحة مستويات.

ج / مستويات النصيحة حسب الحديث الشريف:

في الحديث الشريف أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الدين النصيحة. قلنا لمن؟ قال لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم.² فأفاد ذلك أن للنصيحة مستويات خمسة هي:

- النصيحة لله عز وجل: وتكون بالإيمان بوحدانيته، وأنه متفرد بصفات الكمال والجلال، والقيام بعبوديته ظاهراً وباطناً، بتنفيذ أوامره، واجتناب نواهيه، وتصديق خبره، والإتيابة إليه والتوكل عليه، مع التوبة والاستغفار الدائم، وغير ذلك من شعائر الإسلام وشرائعه.

- والنصيحة لكتابه: وتكون بالإيمان بأنه كلام الله، مشتمل على الأخبار الصادقة، والأحكام العادلة، والقصص النافعة، ومن ثم حفظه، وتدبره، وتعلم ألفاظه ومعانيه، والاجتهاد في العمل به في نفسه، وتعليمه غيره، والتحاكم إليه في جميع شئوننا.

والنصيحة للرسول صلى الله عليه وسلم: وتكون بالإيمان به أنه رسول الله إلى جميع العالمين، ووجوب محبته، والتأسي به، وتصديق خبره، وامتنال أوامره، واجتناب نواهيه، وتقديمه على النفس والمال والولد، واتباعه في أصول الدين وفروعه.

- والنصيحة لأئمة المسلمين: وهم ولاية أمورهم، وتكون النصيحة ببذل ما يستطيع في إرشادهم للقيام بواجبهم، وما ينفعهم وينفع الناس، ببيان الحق لهم، والسمع والطاعة لهم في غير معصية الله.

والنصيحة لعامة المسلمين: وتكون بمحبة الخير لهم كما يحب المرء لنفسه، وكراهية الشر لهم كما يكره لنفسه، ويتحقق ذلك، بدعوتهم إلى معرفة الله حق المعرفة، واتباع أوامره بالمعروف، واجتناب نواهيه، وتعليمهم الخير... الخ، ويبدأ المسلم بنصح نفسه. ومن خلال عنوان البحث "من عوائق النصيحة وأثارها الاجتماعية" بسبب تقييد البحث بالآثار الاجتماعية، فهو

¹ - عبد الرحمن حسن خبثكة الميداني: فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مرجع سابق، ص. 19.

² - رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، 53/1.

يخص المستويين الأخيرين في الحديث الشريف، وهما عوائق النصح لأئمة المسلمين وعامتهم، ويقتضي التسلسل المنهجي للبحث التعريف بالعوائق والمقصود بها إجرائيا.

2/ عوائق النصيحة:

أ / المعنى اللغوي للعائق: جاء في معجم مختار الصحاح، مادة: 1ع و ق / عَاقَهُ: عَوَّقَ يَعَوِّقُ، تعويقا، فهو مُعَوِّقٌ، والمفعول مُعَوَّقٌ: حبسه عنه وصرفه، وعَوَائِقُ الدَّهْرِ الشواغل من أحداثه. والتَّعَوُّقُ: التثبيط، والتَّعَوِّيقُ: التثبيط. أما في "المنجد في اللغة والأعلام" في مادة — عوق جاء مايلي 2:

عاق، وعوق، وأعاقه، عن كذا: صرفه وثبطه وأخره عنه. العائق: اسم فاعل، جمعه عوائق، وعُوقٌ: كل ما عاقك وشغلك. أما في معجم اللغة العربية المعاصر: عائق ج عوائق (لغير العاقل) وعُوقٌ، مؤنثه: عائقة، جمع مؤنث: عائقات وعوائق: - وهو اسم فاعل من عاق ومعناه/ مانع، شغل، عقبة، حائل، وعوائق الدَّهْرِ: شواغله وأحداثه ومن ثم فالعوائق لغة: هي الموانع والعقبات المعطلة التي تحول بين الشيء وصدوره في صورته العادية وعلى وجهه الأكمل.

ب / المعنى الإجرائي للعوائق: قصدت بالعوائق هنا، الموانع الذاتية أو الخارجية، التي تحول بين الناصح وبين قيامه بالنصح في الصورة الشرعية المثلى، حتى تأتي النصيحة بشمارها المرجوة، وكذلك الموانع الذاتية أو الخارجية التي تقف في طريق المنصوح وتمنعه من الاستفادة القصوى من النصيحة.

3/ العوائق التي تقف في طريق النصيحة: وهي إما تتعلق بالبيئة الاجتماعية وأسبابها، وإما بالناصح أو المنصوح وفق ما يأتي:

3-1/ تغير في البيئة الاجتماعية الإسلامية وأسباب ذلك:

إن البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها المسلمون اليوم تغيرت كثيرا، وأثرت سلبا على النصيحة وجودا وأداء، إذ لم تعد البيئة الاجتماعية الإسلامية تحمل من الموصفات الإسلامية في كثير من الحالات إلا الاسم، فهل

¹ محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، عن بترتييه محمود خاطر. (ذكر مكان الطبع والتاريخ)، ص. 462.

² - المنجد في اللغة والأعلام، المكتبة الشرقية، بيروت، 2008، ط 43، ص. 538.

المسلمون اليوم في عقائدهم وأخلاقهم وعباداتهم ومعاملاتهم، وسائر شؤونهم، بما فيها القيام بالنصيحة فهما وممارسة كمثل الجيل الذي رباه الرسول صلى الله عليه وسلم والأجيال القريبة منهم أم أن البون شاسع؟

نقرأ الإجابة عن هذا السؤال من خلال ما كتبه الندوي في كتابه "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين"¹، حيث بينّ المستوى الكبير الذي وصل إليه المسلمون في عهده صلى الله عليه وسلم والعهود الزاهرة من بعده، من خلال القراءة مثلا لفصول "رحلة المسلم من الجاهلية إلى الإسلام" و "كيف حول الرسول خامات الجاهلية إلى عجائب الإنسانية" و "المجتمع الإسلامي" وبسبب المستوى السامي الذي وصلوا إليه، فشهد الله لهم بالخيرية "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ"²، ونيل الرضوان بعد ذلك "وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (100)".³

وفي نفس المؤلف، فصل "الانحطاط في الحياة الإسلامية" يوضح المستوى الذي تدهرجت إليه أمة الإسلام بعد ذلك. أي ما نحن عليه اليوم. ويعود ذلك التغير الذي أصاب البيئة الاجتماعية الإسلامية لأسباب عدة منها:

أ/ موروث المحتل في مجال التعليم والتربية وتأثيره:

إذ تعرضت أمة الإسلام لليل الاستعمار الطويل الذي حارب هويتها ومقوماتها بشكل رهيب، وقضى على نظامها التربوي والتعليمي الذي كان قائما فيها قبل الاحتلال وأبدلها به نظاما تربويا، مسيحي الروح غربي التوجه، فنتج عن ذلك "ضعف في الثقافة الذاتية للعالم العربي والإسلامي، لا سيما ما يتعلق بلغته العربية ودينه الإسلامي — منذ الاحتلال الغربي للعالم العربي،... إذ اتجه الاستعمار لضرب وتوهين معاهدها، وشل حركتها، وتركها اسما بلا مضمون، كما حدث في القرويين بالمغرب، والزيتونة بتونس، والأزهر بمصر، ونتج عن ذلك اضمحلال العقل الإسلامي، وضعف الدراسات الدينية، واضمحلال اللغة العربية وانكماشها"⁴.

¹ - أبو الحسن علي الحسيني الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، دار القرآن الكريم، لبنان، 1978.

وأنظر أيضا الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه لعبد القادر عودة.

² - قرآن كريم، سورة آل عمران، من الآية 110.

³ - قرآن كريم، سورة التوبة، الآية 100.

⁴ - محمد الغزالي: مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، دار البعث، قسنطينة، 1402 هـ، ص. 43 - 44.

ونجم عن ضعف تلك الثقافة على مستوى الجامعات المعروفة كالأزهر والزيتونة وغيرهما، ضعف المتخرجين منها، وضعف أدائهم بعد ذلك، بما فيه النصح. وهم المؤهلون في ذلك افتراضا. وكيف سيكون حال بلد كالجزائر في ظل استعمار دام 132 سنة؟ قام على سلب عناصر هوية الجزائريين بالتجهيل، بغلقه للمساجد والمدارس من أول يوم للاحتلال، وفرضه للفرنسة عليهم، وتتنصيرهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا، للاستيلاء على خيراتهم وأرضهم¹؟

كما "أن نوعية التعليم القائم اليوم في العالم العربي والإسلامي هو امتداد لإرث محتل الأمس، فهو خنجر مسموم طعنت به أمة الإسلام، فهو لم يوصلها إلى التقدم العلمي والتكنولوجي المرجو، ولكنه سلخها من الدين، وقيم وأخلاق الإسلام"².

وقد أدى ذلك إلى تغيير شامل في التربية الاجتماعية في المجتمعات الإسلامية، ومؤسسات التنشئة الاجتماعية فيها، على مستوى الأسرة والمدرسة، وحتى المسجد لم يسلم، إذ فقد دوره التربوي الذي كان يقوم به في صدر الإسلام وعهوده الزاهرة، حيث كان المسلمون يتلقون فيه التربية على الفضيلة وحب العلم والوعي الاجتماعي، ومعرفة حقوقهم وواجباتهم في الدولة الإسلامية، التي أقيمت لتحقيق طاعة الله وشريعته وعدالته ورحمته بين البشر...³ في حين أن أئمة المساجد اليوم في بعض البلدان الإسلامية، مستواهم يتراوح بين نهاية التعليم المتوسط والتعليم الثانوي، وقلة قليلة من حملة شهادة ليسانس، مما يجعلهم عاجزين عن إحداث أي تأثير تربوي إيجابي في رواد المساجد لصالح الإسلام، فالمساجد وظيفيا محصورة في أداء الصلاة! وأي صلاة؟⁴

ناهيك عن المؤسسات الاجتماعية الأخرى من أسرة ومؤسسات تربوية وإعلامية والمنوط بها إشباع حاجات المجتمع في إطار هويته، فقد أصابها بسبب الاحتلال تخريب وعجز كبير⁵.

¹ - د. تركي رابح/ الشيخ عبد الحميد بن باديس: راند الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 2001، ط5، ص.112، و ص.65-66.

² - أنور الجندي: الخنجر المسموم، دار الاعتصام للطبع والنشر، القاهرة، بدون سنة الطبع، ص.17.

³ - عبد الرحمن النحلاوي: أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر، دمشق، 2009، ط.27، ص.108-109.

⁴ - بشير قادري: تكوين الأئمة وأثره على التوجيه المسجدي بالجزائر، دراسة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع الديني، إشراف الأستاذ الدكتور مولود سعادة، قسم علم الاجتماع، جامعة باتنة، 2010/2011، بحث لم ينشر، ص.132.

⁵ - د. معن خليل عمر: علم المشكلات الاجتماعية، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 2005، ص.98.

فانعكس كل ذلك سلبيًا على النصيحة، إذ بدا للمسلمين اليوم — لاسيما القيادات السياسية — التي بيدها زمام الأمور، وحتى النخب العلمية، أن أوروبا والغرب هو النموذج الذي يجب أن يحتذى به كنموذج مجتمع، من أجل التقدم، ومجتمع الغرب ليس من مقوماته النصيحة؛ ولم يكتف المسلمون في تأثرهم بالغرب، بالإعجاب بالمنشآت والحدائق والقصور والشخصيات... بل تجاوزوا إلى ما هو أخطر وأعمق من ذلك، إنه اعتماد شامل للقيم والأصول الغربية، إذ هرع "المفكرون" و "الموجهون" و "الاقتصاديون" و "المؤرخون" و "الأساتذة والطلبة" هرعوا جميعًا يفتقون آثار "داروين" و "فرويد" و "سارتر" و يلهثون وراء "ماركس".¹

ويا ليتّه كان تأثر المسلمين بالغرب، في احترام الوقت والاستفادة منه، والتفوق العلمي والتكنولوجي، والمحافظة على المال العام... بل هو متأثر بالغرب في مفسده، ولهوه وطيشه والجوانب السلبية فقط.

وحتى بعض النخب الإسلامية التي يفترض أنها صمام الأمان في وجه الغزو الفكري والثقافي الوافد، لم تسلم من ذلك الانبهار، فمحمد عبده — الشيخ المصلح — بسبب ذلك الانبهار وهو يفسر القرآن ويتعرض لسورة الفيل، فلا يستطيع أن يوفق بين عقلية إسلامية تؤمن بالمعجزة، وعقلية غربية، ترفض المعجزة، ولذا كان في ضيق شديد من الطيور الأبايل، ويقرر بكل ثقة مايلي: " وفي اليوم الثاني فشا في جيش أبرهة الحبشي داء الجدري والحصبة... وأن أول ما رؤيت الحصبة والجدري ببلاد العرب ذلك العام، ففعل الوباء بأجسامهم ما يندر وقوع مثله. فكان لحمهم يتناثر ويتساقط فذعر الجيش وصاحبه وولوا هاربين... فيجوز لك أن تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض أو الذباب الذي يحمل جراثيم بعض الأمراض... هذا ما يصح الاعتماد عليه في تفسير السورة، وما عدا ذلك فهو مما لا يصح قبوله إلا بتأويل".²

ب/ تأثير الغزو الفكري والثقافي في المسلمين:

إن محتل أرض المسلمين بالأمس، مازال يدمرنا بما يغرقنا به ويمارسه علينا يوميا عن طريق الغزو الثقافي والفكري وتشويه المفاهيم " لأنه درس أوضاعنا النفسية دراسة عميقة، وأدرك منها موطن الضعف، فسخرنا لما يريد، كصواريخ موجهة، يصيب بها من يشاء، فنحن لا نتصور كيف يحتال علينا، لكي يجعل منا أبوابا يتحدث فيها، وأقلاما يكتب بها، إنه يسخرنا بعلمه، وجعلنا، ... يتصرف في بعض مواقفنا الوطنية، وحتى الدينية، من

¹ - مصطفى النيفر و راشد الغنوشي: ما هو الغرب؟ مطبعة فانزي، تونس، بدون ذكر سنة الطبع ص. 10.

² - انظر تفسير سورة الفيل من جزء عم للشيخ محمد عبده.

حيث نشعر أو لا نشعر¹ ساعده على ذلك تقدمه التكنولوجي، وقدرته على التأثير والإغراء من جهة وفراغنا من جهة أخرى وقابليتنا للاستعمار، فهو يصدر لنا العري والخيانة والإباحية ... وغيرها من المفاسد في شكل جذاب مغر، بما لديه من وسائل الإغراء والتأثير، ويصورها على أساس أنها من لوازم التحضر والتقدم؛ ويصور الإسلام والالتزام به، في أبشع صورة، وبأنه رجعية للوراء، وتخلف، وظلام، وتعصب، وإهانة للمرأة... مما نجم عنه اعتناق كثير من أبناء وبنات المسلمين - بسبب جهلهم للإسلام - لتصورات أعداء الإسلام، وهجرهم للإسلام وتعاليمه.

ج / انقراط العقد بين الحكام والمحكومين:

من الأسباب الكبرى التي ساعدت على تغيير البيئة الاجتماعية الإسلامية، وأثرت سلبا على ممارسة النصيحة، نوعية حكام المسلمين اليوم، وانقراط شبه كلي في عقد التواصل والثقة والمحبة والتناصح والتعاون بين الحاكم والمحكوم، لا سيما بعد تحرر بلداننا من محتل الأوس. إذ سببُ تنصيب الحاكم في الإسلام هو حراسة الدين وسياسة الدنيا، يستفيد أحكام الشرع في مختلف مجالات الحياة، بما فيها النصيحة للمسلمين وعدم غشهم...² ولكي يتحقق ذلك فالإسلام يرشح الحاكم من خيار الناس منبعا وعقلا وعلمًا وصلاحًا وعدلا وتقوى وصدقا، ووفاء بالعهد والوعد...³ (فالمُلك بيت أسه الإيمان، وسقفه التقوى، وأركانه الشرائع، وفرشه العدل، وأستاره السيرة السعيدة، فإذا قعد فيه الملك انتهجت به الدنيا، وتآلفت عليه النفوس، وعمرت به البلاد، وشمل الصلاح العباد)⁴.

لكن هل هذه الصورة الجميلة التي يقترحها الإسلام موجودة اليوم في العالم الإسلامي؟ أم أن ظلم الحكام واستبدادهم والحكم بغير ما أنزل الله هو السائد؟ " فالفساد السياسي أخبث علل المسلمين، ومن البلاء أن يكون الرأي لمن يملكه لا لمن يبصره! ومنذ أمد بعيد وأحوالنا تجري على هذا النحو، مصلحون يرون الأخطار ويرفعون عقائرهم بالتحذير منها، وعميان يقودون القافلة - بسلطات مبهمه - إلى هذه الأخطار نفسها!! يبذل هؤلاء المصلحون

¹ - مالك بن نبي: شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين وعمر كامل مسقاوي، دار الفكر، دمشق، دار، 1979، ص. 155.

² - أبو عبد الله محمد بن الأزرقي الأندلسي (ت. 896هـ): بدائع السلك في طبائع الملك، ج1، دراسة وتحقيق د/ محمد بن عبد الكريم، الدار العربية للكتاب، تونس، 1977، ص. 126، 199.

³ - المرجع نفسه، ص. 401، 405، 454، وانظر أيضا الدكتور محمود الخالدي: قواعد نظام الحكم في الإسلام، مؤسسة الإسراء، الأردن، 1991، ص. 307-309.

⁴ - بدائع السلك في طبائع الملك، مرجع سابق، ص. 200.

جهودهم بالعلم واللسان لتبيين الرشد من الغي، وميز العدل من الجور، وفضح العقبات التي تسد السبيل القاصدة أمام المسلمين، فإذا هذه الجهود تذهب بددا تحت وطأة الطغيان الحاكم بأمره هنا وهناك، وكثير من بواكير الإصلاح أهيل عليها التراب قبل أن تتبسق وتنمو، فلحقها الموت في مهدها، قتل جمال الدين وهو يحارب استبداد الملوك على عهده، ومات عبد الرحمن الكواكبي منكشاً بعدما صودرت كتبه وحوربت مدرسته...¹ إنه الواقع المرير، والقطيعة المرة، بين ما يدعو إليه الإسلام وما يفرضه الحكام بالقوة، وما ينجم عنه. فحكام المسلمين اليوم لم يصلوا إلى الحكم باختيار أهل الحل والعقد من العلماء الصالحين في الأمة، وبرضا الناس وبيعته²، بل وصلوا إلى الحكم عن طريق الانقلابات أو انتخابات مزورة، أو تدخل الغرب لإيصالهم إلى سدة الحكم مقابل رعاية مصالح الغرب لا رعاية مصالح شعوبهم وأمتهم، ولذلك انعزل جل الحكام عن شعوبهم، في قصورهم الفخمة، يستمتعون بشهواتهم على حساب آلام ومشاكل شعوبهم، وقد أحاطوا أنفسهم بالمتزلفين وأصحاب المصالح، وأقصوا الناصحين العلماء، أصحاب الكفاءة والصلاح، ومن ثم لم يعد جل الحكام ناصحين لأمتهم، بمقتضى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه الشيخان عن معقل بن يسار رضي الله عنه "ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصيحة إلا لم يجد رائحة الجنة"³.

وننتج عن ذلك رد فعل من الرعية هي الكراهية الشديدة للحكام ومحيطهم، بسبب مواصفاتهم السيئة ومظالمهم المقترفة في حقوق شعوبهم، ومن ثم لم تعد تنصح لهم، بمقتضى الحديث الشريف: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمور، ولزوم جماعة المسلمين"⁴.

د - التوجه المادي الاستهلاكي للمجتمعات الإسلامية على حساب القيم والجانب الروحي الأخلاقي.... الخ.

وكمحصلة لمجموعة العوامل السابقة الذكر، من تركة المحتل في التربية والتعليم، والغزو الثقافي، وعجز مؤسساتنا للتنشئة الاجتماعية، وانفراط العقد بين الحاكم والمحكوم،...، تغيرت البيئة الاجتماعية الإسلامية، فلم تعد بيئة رسالية ربانية تقوم بوظيفة النصح، بقدر ماهي بيئة اجتماعية مادية

¹ - محمد الغزالي: الإسلام والمناهج الاشتراكية، دار الكتب الحديثة، القاهرة، د ت ط، ص. 97.

² - محمود الخالدي، قواعد نظام الحكم في الإسلام، مرجع سابق، ص. 98 وما بعدها.

³ - رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب من استرعى رعية فلم ينصح، 2614/6، حديث رقم 6731.

⁴ - رواه ابن حبان في صحيحه، 270/1، حديث رقم 67، وهو صحيح الإسناد. ورواه أيضا الطبراني في المعجم الأوسط، 201/7، حديث رقم 7271.

استهلاكية على منوال الغرب، ولكن ليس لما تنتجه هي، بل لما ينتجه لها الآخرون!

3- 2/ عدم القيام بواجب النصح أصلا:

من عوائق النصيحة أنها غائبة في المجتمعات الإسلامية على العموم، لا سيما في الجانب الرسمي، إلا استثناء، فلم تعد السلطة تحرص على النصيحة، فترعاها، وتوفر لها مناخا ملائما، بإيجاد هيئات ومؤسسات تقوم بها وترفع من مردودها، كقيمة أصيلة أساسية في المجتمع؛ ونجم عن ذلك تصور باهت للنصيحة لدى فئات المجتمع، رغم أن هذه المجتمعات نظريا وريثة النبوة، انتقلت إليها من خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم وعليها القيام بالنصح، لأنه من الوظائف الأساسية للرسل، كما جاء في القرآن الكريم في معرض الحديث عن نوح عليه السلام وهو يخاطب قومه: "قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (61) أَبْلَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَتَصَحِّحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (62)".¹ وقال عن صالح ناصحا لقومه: "يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَتَصَحَّحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ"² وغيرهم من الرسل.

ويؤكد غياب النصح في مجتمعاتنا اليوم ملاحظة واقعها المعيش المشهود.

3- 3/ القيام بواجب النصيحة في إطارها الشعبي وعوائقها:

إن المجهود الشعبي، إزاء النصيحة في تصوره وقناعاته وممارسته يقترب من المستوى الرسمي في غيابه، وإذا وجدت النصيحة في إطارها الشعبي فدونها عوائق كبيرة لدى كل من الناصح والمنصوح على حد سواء، هذه بعضها:

أ/ عوائق مشتركة بين الناصح والمنصوح:

لما كان كلا من الناصح والمنصوح هما ثمرات بيئتنا الاجتماعية، المحاطة بالملابسات المذكورة، التي نتج عنها الجهل الكبير بالإسلام، فحال ذلك بين الناصح وتقديمه النصح في صورة مجدية مؤثرة، واستفادة المنصوح من النصيحة، بالإضافة إلى عوائق أخرى لدى كل منهما (أي الناصح والمنصوح)، هذه بعضها:

¹ - قرآن كريم، من سورة الأعراف، الآيتان 61، 62.

² - قرآن كريم، من سورة الأعراف، الآية 79.

ب / عوائق خاصة بالناصح:

ب - 1 / غياب الأهلية العلمية والبيانية:

أي عدم مقدرة الناصح تبليغ ما يريد إيصاله للمنصوح لهم، كتابة ومشافهة وإقناعاً، بأسلوب حسن لين مفهوم، يستعطف القلوب والنفوس، يناسب أي حالة من حالات المنصوحين، مشفوع بحرص كبير على التأثير فيهم، مشحون بمشاعر الرحمة والشفقة عليهم، ويكون محفزه على ذلك الاستجابة لأمر الله، وابتغاء مرضاته. لا يريد منهم جزاء ولا شكوراً¹.

وهذه الأهلية العلمية والبيانية بالصورة المذكورة، تقوم أساساً على تكوين علمي، يكون شاملاً، عميقاً، متوازناً، في إطار تكامل المعرفة²، يجمع بين العلوم الشرعية والعلوم الإنسانية والاجتماعية وعلوم العصر، وفهم واقع أمة الإسلام، والأسباب التي أدت بها إلى ما هي عليه اليوم، وكيف يمكن علاج أمراضها ومشاكلها من حيث المحتوى والمنهج، للعودة بها إلى وضعها الصحيح، وهذا ما تفتقر إليه في الغالب، برامج المؤسسات الجامعية في العالم العربي الإسلامي، فهي إما تغريبية مائة بالمائة، لاعلاقة لها بالعلوم الشرعية والثقافة الإسلامية، أو منحصرة فقط في العلوم الإسلامية، كما هو في بعض الكليات والجامعات الموسومة بالإسلامية في العالم الإسلامي على قلتها.

ب - 2 / غياب القدوة الأخلاقية الشاملة:

لأسباب كثيرة، منها البيئة الاجتماعية، يعاني الناصح من قصور في التمثيل الصحيح والشامل للإسلام في جميع جوانبه، علماً وعقيدة وعبادة وخلقاً ومعاملة، بدرجات مختلفة، ويكفي أن يمتحن الشخص بإغصابه أو استفزازة في موقف ما، حتى تظهر عيوبه الكثيرة، من الغلظة والفظاظة والأنانية والشح... تدل على قصور كبير في القدوة الأخلاقية.

ب - 3 / عدم التجرد عن المنافع الدنيوية:

من العوائق التي تحول بين الناصح واستجابة المنصوحين له، أن يشعروا أن ناصحهم يحفزه للقيام بهذا العمل مصلحة شخصية دنيوية، لوجود أمارات عدم الصدق فيما يقول من خلال سلوكه وصفاته، التي تؤشر أن

¹ - عبد الرحمن حسن حبيكة الميداني: فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مرجع سابق، ص 233 إلى 246 بتصرف.

² - د/ طه جابر العلواني: نحو منهجية معرفية قرآنية: محاولات في بيان قواعد المنهج التوحدي للمعرفة، دار الفكر، دمشق، 2009، ط1، ص 279 - 280.

غرضه مادي نفعي، من مال أو زعامة أو جاه ... فيتولد عندهم نفور منه، وإعراض عما ينصح به، حتى ولو كان ما يقوله صحيحا وشرعيا.

ومن ثم فشبّهة عدم التجرد الكامل عند الناصح تقف عائقا في طريق تحقيق النصيحة لأهدافها؛ ولذلك كان الرسل عليهم السلام، رغم صدقهم وإخلاصهم، الذي لا ترقى إليه أي شبهة، ينبه الواحد منهم بداية أن ما يقوم به من النصح وغيره، لا يطلب منه إلا مرضاة الله، ولا يسأل عليه تعويضا ماديا أو معنويا من أحد "وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ" (109)¹

ب - 4 / النصح في العن:

إن توجيه النصح للمنصوح علانية، وأمام الملأ فضيحة وتشهير، يؤدي إلى رفضها؛ ووجوب الستر على المسلم، تؤكد أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم منها ما رواه الإمام أحمد: "مَنْ سَتَرَ عَلَى مُؤْمِنٍ فِي الدُّنْيَا، سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"² وقد فهم السلف من هذا الحديث وغيره وجوب الستر على المسلم، وكانوا يحبون أن يكون النصح سرا بينهم وبين المنصوح، لأن الناصح ليس غرضه إشاعة عيوب من ينصح، وإنما غرضه إزالة المفسدة³.

قال الفضيل بن عياض في هذا المجال "المؤمن يستر وينصح، والفاجر يهتك ويعير" أي أن النصح يقترب بالستر، والتعير يقترب بالإعلان⁴. وقد حرم الله الإشاعة وإظهار العيوب: "إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ" (19)⁵

ومن ثم هل ما يكتب ويذاع ويقال حتى من بعض فوق المنابر! في بعض الجهات، اعتباره من النصيحة؟ أم يدخل في إطار التعير وإظهار عيوب الناس والانتقاص من قيمتهم، وتصيد أخطائهم، وحتى حب الانتقام منهم والتشهير بهم، بسبب دوافع حزبية وطائفية ... لا تمت للنصيحة بصلة، وما ينجم عن ذلك من رد فعل عكسي ضار.

¹ - قرآن كريم، سورة الشعراء، الآية 109.

² - رواه الإمام أحمد في مسنده، 153/4، حديث رقم 17429.

³ - الحافظ زين الدين بن رجب الحنبلي: الفرق بين النصيحة والتعير، دار الشهاب، الجزائر، بدون تاريخ الطباعة، ص. 17.

⁴ - الفرق بين النصيحة والتعير، مرجع نفسه، ص. 17.

⁵ - قرآن كريم، سورة النور، الآية 19.

ب - 5/ عدم مراعاة المكانة الاجتماعية لمن يوجه له النصيح:

من عوائق النصيحة أن ينزل الناصح جميع من ينصحهم مرتبة واحدة، يتعامل معهم بنفس الطريقة والأسلوب، مع أن الحديث الشريف المتعلق بالنصيحة، فرق بين مستويات المنصوحين، من أئمة المسلمين وعامتهم، مراعاة للمنزلة الاجتماعية والوجاهة في القوم، تأليفاً لقلب المنصوح، بإعطائه ما تحتاجه نفسه من تمجيد وتقدير، وقد أكد الله تعالى على ذلك، من خلال ما أوصى به موسى وهارون عليهما السلام عندما أرسلهما إلى فرعون في وجوب التلطف والقول اللين له، مراعاة لمكانته الاجتماعية، فقال تعالى " اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (43) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لِّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ (44)"¹، وفي موقع آخر أطل من أساليب التلطف، فقال تعالى " اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (17) فَقُلْ هَلْ لَّكَ إِلَىٰ أَنْ تَزْكَىٰ (18) وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ (19)"².

فـ "هل" كلمة استفهامية فيها معنى العرض التخييري، لا التكليف الإلزامي. لكن التلطف بتطويل مقدمات العرض التكريمي استدعاها. ثم أردف بعد "هل" لك" وهما كلمتان: الأولى حرف جر، والثانية كاف خطاب، وكان من الممكن الاستغناء عنهما.

ويبدأ عرض المقصود بكلمة "تزكي"، ومع ذلك حصل فيها اختصار وتقليل في اللفظ، إذ أصل الفعل "تتزكى" فحذفت إحدى التاعين اختصاراً، في حين مقدمات العرض أطل فيها، مراعاة لمنزلة المخاطب في قومه³.

ب - 6/ الغلظة والفظاظة:

إن الناصح طبيب رحيم، دمث الأخلاق، ينظر إلى الشخص المنصوح بقلب ملؤه الرحمة والشفقة، يسعى إلى إنقاذه مما هو فيه، كما يسعى الطبيب الرحيم إلى إنقاذ مريضه من مرضه، فالمنصوح ليس عدواً نقائله، ولا ينبغي أن يشعر بأي غلظة أو فظاظة، ولكن إذا كان من يقوم بالنصح غير مؤهل ستصدر منه سلوكات الغلظة والفظاظة، وقلة الصبر والحلم، مما يعيق مهمة النصيح. وقد نبه القرآن الكريم إلى أن الغلظة والفظاظة تنفر الناس من

¹ - قرآن كريم، سورة طه، الأيتان 43 - 44.

² - قرآن كريم، سورة النازعات، الآيات 17 - 19.

³ - عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: فقه الدعوة إلى الله وفقه النصيح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مرجع سابق، ص. 620-621.

حول الداعية والناصح، فقال تعالى "فِيمَا رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَهِمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ" (159)¹

ب - 7 / رثاء المظهر:

مظهر الإنسان يكرمه قبل نزوله وعلمه يكرمه بعد نزوله، فمن يتصدر نصح الناس لا ينبغي أن يكون في هيئة مزرية منفرة، لرثاء مظهره وبؤسه، مما يدفع منصوحيه إلى التقزز والنفور منه، وعدم الاستماع إليه، بل وربما السخرية منه، فيكون مظهره عائقا في ما يقوم به من نصح، فالزي الحسن، والمظهر الجميل، والنظافة التامة، والرائحة الطيبة، تميل إليها النفوس والحواس، والمشكل القائم اليوم أن الفئات التي تقوم بالنصح من سلك أئمة المساجد ووعاظ ومرشدين...، في بعض البلدان الإسلامية، يصنفون في آخر السلم الاجتماعي، وظروفهم الاجتماعية والمادية صعبة، إن لم تكن متدهورة جدا، مما يؤثر سلبا على مظهر الكثير منهم.²

هذه أهم العوائق التي تقف في طريق الناصح تمنعه عن توصيل النصح، لكن هل المنصوح لا يتحمل أية مسؤولية؟ وهذا ما سيبينه العنصر الموالي.

ج / عوائق خاصة بالمنصوح وأسباب ذلك:

إن النصيحة عملية تفاعلية بين الناصح والمنصوح، يتحمل الناصح الجزء الأكبر من اللوم في حال فشل النصيحة بصفته بمثابة الطبيب المعالج، والمنصوح بمثابة المريض، ولكن أيضا المنصوح لا يعفى نهائيا من أي تبعة، فهو أيضا يتحمل مسؤولية فشل النصيحة في بعض الأحيان، فمثله كمثل المريض الذي يرفض شرب الدواء الذي يقدمه له الطبيب رغم توسله إليه بكل الوسائل، فماذا يفعل الطبيب في مثل هذه الحالة؟

والقرآن الكريم عندما يذكر قصة نوح عليه السلام وقد أفاض في التودد والتلطف والتتويج في الأساليب وهو ينصح ويدعو قومه — كونه أن كلا من الدعوة والنصيحة يشتركان في حب الخير للمدعو والمنصوح (قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (5) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (6) وَإِنِّي كَلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِيَتَغَفَرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرَوْا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (7) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا (8) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ

¹ - قرآن كريم، سورة آل عمران، من الآية 159.

² - بشير قادري: تكوين الأئمة وأثره على التوجيه المسجدي بالجزائر، مرجع سابق، ص 261-262.

وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا¹(9). فهل هنالك أكثر من هذا التوسل والتودد والاستعطاف والرحمة والصدق في القول والفعل والتنويع في أساليب النصيح، من نبي الله نوح نحو قومه؟ فماذا كانت الإجابة بعد ذلك؟ غير الإصرار والاستكبار.

فهل نحمل نوحا عليه السلام المسؤولية؟ ونقول أنه لا يعرف القيام بوظيفة النصيح وهو أحد أولي العزم من الرسل، والواقع الاجتماعي اليوم، يبين أن البيئة التي يعمل فيها الناصح تعاني من انغلاق شبه مطلق لدى فئة كبيرة من المنصوحين، بسبب أمراض نفسية متنوعة، وفساد في القلوب، تجعلهم لا يرغبون حتى في الاستماع للناصح، فضلا عن الاستجابة له، لأسباب كثيرة، منها:

ج - 1 / التعلق الكبير بالدنيا وما نجم عنه من انغلاق رهيب في النفوس وانصرافها عن النصيح وعدم تقبله ...

ج - 2 / أحكام مسبقة على الناصح أو عقائد سابقة مخالفة للإسلام، تجعل المنصوح يرفض ما يأتي من الناصح.

ج - 3 / تحكم الشهوات والأهواء في المنصوح لدرجة الانغلاق المطلق للنفس وانصرافها عن الناصح.

وبسبب عوائق النصيحة هذه، نتج واقع مريض، بأثار سلبية كبيرة على الأفراد والأسر والمجتمع كله، وعلى شبكته وعلاقاته الاجتماعية.

4 - التأثير السلبي لعوائق النصيحة على واقع المجتمع:

إن عوائق النصيحة المذكورة سابقا، نتج عنها عجز النصيحة - إن وجدت - في التكفل بعلاج مشاكل مجتمعات العالم الإسلامي، أفرادا وأسرا وجماعات ومجتمعات، إذ لو كانت النصيحة قائمة، وتؤدي بصورة صحيحة، مستغرقة للدين في كل قضاياها، للحديث الشريف المتعلق بالنصيحة، فستختفي كثير من المشاكل التي يعاني منها الفرد والأسرة والمجتمع، أو سيتم التخفيف منها على الأقل.

فعلى مستوى الأفراد - على سبيل المثال لا الحصر - فكم هم عدد مسلمي اليوم الذين أضاعوا الصلاة؟ مع أنها عماد الدين، وحق الله الذي لا يسقط مهما كان حال المكلف، ومن ضيعها كان لما سواها من الواجبات

¹ - قرآن كريم، سورة نوح، الآيات من 5-9.

أضيق، كالأمانة والصدق وحقوق الناس...، وحتى من يصلي منهم اليوم فهل صلاته في صورتها الصحيحة تنهى عن الفحشاء والمنكر؟ أم هي مجرد أداء شكلي لا يغير من سلوك المرء شيئاً؟¹

ألا تتفع النصيحة لو كانت قائمة، وعلى أسس صحيحة، أولئك الذين أضاعوا الصلاة، فيحافظوا عليها ويقيمونها في صورتها الصحيحة، وما ينتج عن إقامتها الصحيحة في بناء الإنسان الرسالي، الذي هو الأساس في كل شيء، كون الصلاة أكبر مدرسة في التنشئة الصالحة للمسلم في جميع المجالات؟² من صلته بالقرآن الكريم، وتفاعله معه، من خلال ما يتلى عليه في الصلوات الجهرية، ونظافته حساً ومعنى، واحترامه للوقت، واندماجه مع المسلمين، وتعاونهم معهم على البر والتقوى... الخ.

— وعلى مستوى العائلة: أيضاً نكتفي بمثال واحد فقط، كم هي مشاكل الأسرة في العالم الإسلامي؟ وما ينجم عنها من الطلاق، وكم هي نسبته في المجتمعات الإسلامية؟³ وعندما نقول مشاكل الأسرة ونسبة الطلاق المرتفعة، يعني أن الأسرة مدمرة وهي الخلية الأساسية في المجتمع، وهل يمكن أن يقوم مجتمع فاضل على أسرة مدمرة؟

عوائق النصيحة ليست هي السبب الوحيد في مشاكل الأسرة اليوم، ولكن النصيحة المستوفية الشروط يمكن أن تصلح بين العائلات المتصاهرة، وعلى مستوى أفراد العائلة الواحدة، مما يقضي على المشكل وما ينجم عنه في بدايته.

— أما على مستوى المجتمعات الإسلامية من خلال ما يكتب في الصحافة المحلية⁴ وما يعرض في محاكمها، من الانتشار المفرغ للجريمة، لدرجة فقدان الأمن وسيطرة الخوف لدى الناس على أرواحهم وممتلكاتهم، لأسباب كثيرة متداخلة أيضاً، وتحتاج إلى مجموعة من الأدوات والأساليب للعلاج، لكن في مجال موضوعنا ألا يمكن للنصيحة لو وجدت أن تهذب إلى حد ما من سلوك الفرد، وتحارب فيه نزعة الأنانية المؤدية إلى الجريمة، وتغرس فيه قيم الإسلام القائمة على الخوف من الله والمحبة والإيثار والتعاون على البر والتقوى بدلا من الجنوح إلى الإثم والعدوان والجريمة؟

¹ - نور الدين جفافة: الأبعاد الإعلامية والاجتماعية للجمعة، رسالة ماجستير في الدعوة والإعلام، بجامعة الأمير عبد القادر الإسلامية، الجزائر، السنة الدراسية 1998/1999م، بحث غير منشور. فصل إضاعة الصلاة في المجتمع الإسلامي.

² - بشير قادري: تكوين الأئمة وأثره على التوجيه المسجدي بالجزائر، مرجع سابق، ص. 243-246.

³ - د. معن خليل عمر: علم المشكلات الاجتماعية، مرجع سابق، ص. 136-139.

⁴ - أنظر مثلاً الصحف الجزائرية اليومية، مثل الخبر والشروق اليومي وخاصة النهار، وهي تكتب عن مشاكل المجتمع، فلا يخلو عدد من ذكر عدد من الجرائم اليومية.

5/ النتائج التي توصل إليها البحث و المقاربة العلاجية لعوائق النصيحة؟

1/5 النتائج:

مما توصل إليه البحث، أن أهم عوائق النصيحة يعود إلى تغير في البيئة الاجتماعية الإسلامية، وما أصابها من التلوث. وهي حبلى بالمتناقضات، وهي تؤثر على كل من الناصح والمنصوح، كما أن المستوى غير الملائم للناصح من حيث التأهيل علميا وشرعيا وأخلاقيا، وظروفه الاجتماعية الصعبة،... أدى إلى كثير من الإخفاقات كون الناصح هو العنصر الأساسي في عملية النصيحة، كما أن إعراض المنصوح عن النصيحة، والأسباب التي تدفعه إلى ذلك، عامل ثالث يعوق النصيحة.

2/5 المقاربة العلاجية لعوائق النصيحة:

يمكن التخلّص من هذه العوائق التي تقف في طريق النصيحة، أو التخفيف منها على الأقل بتتقية البيئة الاجتماعية، ونشر تعاليم الإسلام وممارساته، وتكوين علماء أكفاء يقومون بدورهم الرسالي على منهج سلف الأمة إبراء للذمة أمام الله تبارك وتعالى، متسلحين بالإخلاص والعلم والصدق والتجرد والصبر. والدور الأكبر في هذه العملية يقع على النظام السياسي بما يملك من وسائل التنشئة والضبط الاجتماعيين، ووسائل الإعلام المؤثرة، فتتستغل تلك الوسائل بتفعيلها في تتقية البيئة الاجتماعية من التلوث الإعلامي والثقافي والسلوكي، وإشاعة العلم بالإسلام وممارسة الفضيلة والحث عليها، على ضوء المنهج الإسلامي الشامل. في تصوره للكون والإنسان والحياء بدلا من استعمالها في مزيد من تلويث البيئة بسبب تقليدها للغرب واعتقادها لنفس الهدف، واستعمالها لنفس المنهج والوسائل.

¹ - د. علي أحمد مذكور: منهج التربية في التصور الإسلامي، دار النهضة العربية، بيروت، 1990، ص. 115.

قائمة المصادر والمراجع

- أولاً: القرآن الكريم على رواية حفص.
- ثانياً: كتب الحديث النبوي الشريف
- 2/ صحيح البخاري، تحقيق مصطفى البغا، بيروت، دار ابن كثير
- 3/ صحيح ابن حبان، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1414هـ.
- 4 / مسند الإمام أحمد، القاهرة، مؤسسة قرطبة.
- 5/ المعجم الأوسط للطبراني، القاهرة، دار الحرمين، 1415هـ
- ثالثاً: الكتب
- 6/ ابن أبي بكر الرازي محمد: مختار الصحاح، عني بترتيبه محمود خاطر، (د. ذكر مكان الطبع والتاريخ).
- 7/ ابن رجب الحنبلي الحافظ زين الدين: الفرق بين النصيحة والتعيير، دار الشهاب، الجزائر، بدون تاريخ الطباعة/
- 8/ ابن نبي مالك: شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين وعمر كامل مسقاوي، دار الفكر، دمشق، 1979.
- 9/ ابن الأزرقي أبو عبد الله محمد الأندلسي: بدائع السلك في طبائع الملك، الدار العربية للكتاب، تونس، 1997،
- 10 د. تركي رايح/ الشيخ عبد الحميد بن باديس: رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، ط5، الجزائر، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، 2001
- 11/ الجندي أنور: الخنجر المسموم، القاهرة، دار الاعتصام للطبع والنشر، بدون سنة الطبع.
- 12/ جفافة نور الدين: الأبعاد الإعلامية والاجتماعية للجمعة، رسالة ماجستير في الدعوة والإعلام، بجامعة الأمير عبد القادر الإسلامية، الجزائر، السنة الدراسية 1998/1999م، بحث غير منشور. فصل إضاعة الصلاة في المجتمع الإسلامي.
- 13 / حبكة الميداني عبد الرحمن حسن: فقه الدعوة إلى الله وفقه النصيح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ط1 (دمشق، دار الفلم، 1417هـ الموافق 1996م)
- 14 / د. الخالدي محمود: قواعد نظام الحكم في الإسلام، الأردن، مؤسسة الإسراء، 1991
- 15 / عودة عبد القادر الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه .
- 16/ عبده محمد: تفسير سورة الفيل من جزء عم.
- 17 / د. العلواني طه جابر: نحو منهجية معرفية قرآنية، دار الفكر، دمشق، 2009، ط1
- 18 / الغزالي محمد: مشكلات في طريق الحياة الإسلامية، قسنطينة، دار البعث، 1402 هـ
- 19/ الغزالي محمد: الإسلام والمناهج الاشتراكية، القاهرة، دار الكتب الحديثة، دت ط.
- 20/ الغنوشي راشد وآخر: ماهو الغرب؟ (تونس، مطبعة فانزي، بدون ذكر سنة الطبع).
- 21 قادره بشير: تكوين الأئمة وأثره على التوجيه المسجدي بالجزائر، دراسة أنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع الديني، إشراف الأستاذ الدكتور مولود سعادة، قسم علم الاجتماع، جامعة باتنة، 2010/2011، بحث لم ينشر.
- 22/ د. معن خليل عمر: علم المشكلات الاجتماعية، الأردن، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2005.

- 23/ د. مدكور علي أحمد: منهج التربية في التصور الإسلامي، بيروت، دار النهضة العربية، 1990، ص. 115.
- 24/ المنجد في اللغة والأعلام، ط43، بيروت، المكتبة الشرقية، 2008.
- 25/ النحلاوي عبد الرحمن: أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، ط27، دمشق، دار الفكر، 2009.
- 26/ الندوي أبو الحسن علي الحسني: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، لبنان، دار القرآن الكريم، 1978.
- رابعا: الصحف اليومية الجزائرية/ الخبر اليومي، الشروق اليومي، والنهار.